

# من وراء البحار

## مصر في المجلات البريطانية

### رأى مجلة علمية

الامة المصرية . وكانت محاولة الفرنسيين فتح العالم مما فرض على مصر الدور الذي ما زالت تقوم به على أنها مفتاح لتحقيق الكثير من مطامع الدول العظمى ، وظلت مسرحا لمنافساتهم ، وبقيت شديدة الاتصال بالحياة الاوربية في سياستها وآرائها وآلاتها وقها . واتصلت مصر بعدد كبير من أهل أوربا ، أكثرهم من العناصر غير المرغوب فيها ، وكان ذلك أيضا مما جاء بالبريطانيين

لقد رأت حكومات بريطانية متتابعة أنها مضطرة إلى اعتبار التسلط على شرق البحر الأبيض المتوسط ، وهو الذي تمكن منه الانجليز لأول مرة بانتصار نيلسون في موقعة النيل ، نقطة أساسية في السياسة ، لا سيما أن للشرق الأوسط أهمية استراتيجية وله علاقة بمصالح بريطانيا التي تمتد إلى جوانب العالم . وقوى هذا المظهر من السياسة الخارجية البريطانية منذ السنة السبعين من القرن للماضي بعد إنشاء قناة السويس . فملكة مصر ليست كبيرة الاهمية فقط من الوجهة الجغرافية العسكرية العامة ، ولكن بين حدودها يمر فيه الجزء الأكبر من السفن التي تربط المملكة المتحدة بالهند وممتلكات المحيط الهادى والشرق الأقصى . لذلك ظلت بريطانيا نحو مائة وخمسين سنة تلب دورا هاما في العلاقات بين مصر وسائر أنحاء العالم . ومنذ احتلت الجيوش البريطانية مصر في سنة ١٨٨٠ صارت مسألة هذه العلاقات على صورة ما أهم

في مجلة « العالم اليوم » ، وهي من أكثر المجلات الانجليزية تدقيقا في أخبارها ، إذ يصدرها المعهد الملكي لدراسة الامور الدولية فصل ( في عدد مايو ) عن بريطانيا ومصر ، ووجهة النظر المصرية في تعديل المعاهدة . ومما جاء فيه أن مشاكل مصر ناشئة إلى حد كبير عن مركزها الجغرافي الخاص . فنذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة كان التسلط على مصر مفتاحا للسلطة على جميع المساحات التي هي مهد الحضارة الغربية . وفي العصور الحديثة صارت جميع المساحة التي نسميها عادة ، وللسهولة أكثر من التدقيق ، بالشرق الأوسط ، هي أهم مفتاح استراتيجي ، لما لاحظ نابليون في سرعة ، وصار امتلاكها أو المقدرة على منع الغير من امتلاكها هو وسيلة النصر في الحروب العالمية . ولا يوجد في عصور التاريخ إلا القليل مثل التاريخ المصري الحديث تراه واضحا وضوحا ظاهرا في حوادثه . وهو لا يحتاج إلى فن المؤرخين . فسنة ١٧٩٨ ، وهي سنة الغزو الفرنسي ، هي أول سنة في تاريخ مصر الحديث . وقد جاءت مع جيوش نابليون آراء الثورة الفرنسية وجميع مثل الحضارة الغربية ، وأدّى وجود العلماء الذين أثقل بهم مركز قيادته إلى اكتشاف أقدم مدنيات العالم ، بفضل شامبليون وتلاميذه وتعريف الغرب بها . وبفضل مطابع الفرنسيين واحتذاء عاداتهم وتأثير طرقتهم ، تأثرت عقول المصريين بطابع الغرب ، وصار للفرنسيين دور هام في حياة

للمفاوضات الحالية ، وذكر أنها تسير في جو غير ملائم ، فان هيئة وفد المفاوضات التي اختارها رئيس الوزراء المصرى قوية ، ولكن تأثيرها ضعف لرفض الوفد الاشتراك فيها . وقال إن المطالبين الذين تطالب بهما الوطنية المصرية الآن هما جلاء الجنود البريطانية عن مصر ، والاعتراف « بوحدة وادى النيل » وهو ما يعنى وحدة مصر والسودان . ولقد كان للسودان دور مهم في الآراء السياسية المصرية على مدى التاريخ ، وهذا طبيعي إذ أنه منبع النيل ، فهو يلعب دوراً حيوياً في حياة مصر أهم من الدور الذي تلعبه مصر في حياة بريطانيا ومجموعة دول الامبراطورية . ومشكلة مستقبل السودان أكبر وأعمد من أن يبحث فيها الآن . ومن وجهة نظر العواطف المصرية يلاحظ أمران : أولهما أن السودان ولو أنه اسماً تحت حكم ثنائى من إنجلترا ومصر فقد ظل في الواقع تحت إدارة موظفين انجليز وهم يسرون به الآن إلى درجة متزايدة من الحكم الذاتي ، وثانيهما أن قوة الارغام التي تكون بيد الدولة المستولية على السودان إذا هي أرادت الضغط على مصر هي قوة في الواقع لا حد لها . على أن هذه القوة لم تستعمل قط ، ومن غير المعقول أن البرلمان البريطانى يوافق على هذا النوع من الضغط الاقتصادي على الحياة المصرية . ولكن الاحتمال موجود ، وقد أشار إليه انجليز غير مسئولين في خطبة عامة لهم . على أن الأمر يتعلق بالثقة ، فإذا كانت الثقة متبادلة والتعبير عنها سخياً فليس ثمة سبب يحول دون ضمان مستقبل السودان ، بحيث يزيد نصيب أهله في السيطرة على مستقبلهم ثم في الوقت ذاته يجب أن تذهب مخاوف مصر . وربما كان مما يسترعى النظر ويبحث على التفاوض في الموقف بأجمعه هو عدم وجود أى نوع من العداء الجنسى أو الوطنى ، وتندرة العداء الشخصى .

ما في حياة مصر السياسية ، والآن صارت أداة الحكم في العلاقات بين إنجلترا ومصر هي معاهدة التحالف والصداقة التي عقدت بينهما في سنة ١٩٣٦ .

ثم تكلم الكاتب عن العلاقات بين مصر وإنجلترا بعد الاحتلال ، فذكر مركز مصر منذ عهد محمد علي ثم الأسباب التي أدت إلى الاحتلال بما هو معروف في الكتب الانجليزية التي تبحث في سياسة بريطانيا نحو مصر ، وانتقل إلى الحرب العالمية الأولى وما كان من تقدم الروح الوطنية في مصر واهتمامها ، لا سيما على اثر المبادئ التي أعلنها الرئيس ولسن ورغبة مصر في تمثيلها بمؤتمر الصلح وعدم إجابتها إلى تلك الرغبة ، وتأليف الوفد تحت زعامة المغفور له سعد زغلول باشا الذي يعتبر أبا الاستقلال المصرى ، وأثر تصريح فبراير سنة ١٩٢٢ . وعدم رضا الوطنيين عن مركز مصر السياسى الذي أوجده هذا التصريح ثم سوء الحالة الدولية الذي أدى إلى عقد معاهدة سنة ١٩٣٦ . وقال إن مساعدة مصر في الحرب الأخيرة لها نصيب كبير في الجدل السياسى الحالى ، فالبريطانيون ينتقدون رغبتها في استرداد جميع ما لها من دين كبير نشأ عن نفقات الحرب البريطانية ، لا سيما إذا نظرنا إلى الموضوع في ضوء أن مصر لم تملن الحرب راسمياً إلا في مارس سنة ١٩٤٥ ولكن الواقع أن تعاون مصر في أثناء الحرب كان كاملاً وذا قيمة كبيرة وأنه لا رأى العام ولا السياسيون أظهروا أى ميل للاستفادة من المآزق الذي كانت فيه بريطانيا . ولو نظرنا إلى ذلك في ضوء التاريخ العاصف للسنوات العشرين السابقة لوجدنا قصة العلاقات المصرية الانجليزية أثناء الحرب قصة تسترعى النظر .

ثم تكلم عن موقف الحكومة المصرية عند أزمة الملدين ، وانتقل إلى ما تلاه الحزب من حوادث داخلية حتى وصل إلى مرحلة

## رأى فى مجلة محافظة

يقتصد فى صدق القول اقتصاداً باعشاً على الأسف أن المستعمرات المستقلة وافقت على هذا الانسحاب .

وفى اليوم التالى اى ٨ مايو خشى أن ينشر مارشال ستطس تكذيباً لذلك ، فاعترف بأن المستعمرات المستقلة أخبرت بأن بريطانيا ستخذ هذه الخطوة الخطيرة جداً ، ولكن لم يؤخذ رأيها فى هذه الخطوة . وهذا التقلب المزدوج الذى قام به رئيس الوزارة ليس من المناظر السارة ، ولكنه كان ذا فائدة كبيرة ، فقد كشف عن الواقع وهو أن المستعمرات المستقلة ، فيما يسمى بالاستشارات ، تخبر فقط بما تنوى الحكومة الامبراطورية عمله ، ولكنها لا تستشار فيما يجب أن تكون عليه السياسة الامبراطورية . والواقع أنه لا يوجد أية استشارات أو سياسة فى جميع الأمور المرتبطة بالامبراطورية ، أى الأمور التى لها مساس حيوى بالمستعمرات المستقلة ، بقدر مساسها ببريطانيا . وقد صرح مستر أتلى فى أحد ارتبائكاته أن وزراء المستعمرات لا يطلب إليهم أن يبدوا موافقتهم فى مسألة خاصة بالملكة المتحدة ، فما أغرب هذا القول ! إن الدفاع عن الامبراطورية والدفاع عن مصر حيوى للامبراطورية بأسرها .

أشارت مجلة « ناشنال ريفيو » ، وهى المجلة الشهرية التى تنطق بلسان المحافظين ، فى عرضها لحوادث الشهر ( فى عدد يونيو ) إلى المفاوضات المصرية ، وتصريح مستر أتلى بمجلس العموم البريطانى فى جلسة ٧ مايو حين أعرب عن نية الحكومة البريطانية فى الجلاء عن مصر . وقال محررها إنه مما لا يصدق أن حكومة تتخذ مثل هذه الخطوة دون أن تستشير غير مجرد أهوائها ، ودون أن تسأل المستعمرات المستقلة التى ساعدتنا على الاحتفاظ بالبحر المتوسط ، فى الحملة الافريقية العنيفة التى كانت فى سنة ١٩٤٠ — سنة ١٩٤٢ . هذا مما لا يصدق حتى من حكومة متقلبة قليلة التجربة مثل الحكومة البريطانية . ولكن هذا ما كان فعلاً . ولقد وقف المستر تشرشل الذى يعرف ما هى مصر وما هو الدفاع عنها فى التو وطلب استمرار المناقشة . وقد نوقش الموضوع بأكمله فى جلسة كبيرة الأهمية فى اليوم ذاته ، إذ كان حزب المحافظين بأكمله يؤيد زعيمه ، فإن الدفاع عن مصر معناه الدفاع عن قناة السويس ، والدفاع عن القناة معناه الدفاع عن الامبراطورية البريطانية فى الشرق ، وعن جنوب إفريقيا وأستراليا ونيوزيلاندة وفى هذه المناقشة صرح مستر أتلى وهو

## رأى سياسى محافظ

الوطنية التى كانت من ظواهر تاريخ العالم فى القرنين الأخيرين . وبينما مسلك الشعب المصرى أخذ فى هذا التطور ، إذا بالمركز الجغرافى لمصر لا يزال هاماً كما هو بل زاد أهمية ، فإن التقدم الحديث فى الهندسة واكتشاف آبار

وكتب اللورد الترنكهام فى هذه المجلة المحافظة مقالا عن « أمة النيل » ابتدأه بوصف ما حدث فى مصر من تطور وبقظة وطنية بفضل سعد زغول . وقال إن هذه اليقظة ليست بمستغربة بل هى مثال آخر لليقظات

عن الأذهان . ثم أخذ يستعرض العوامل الاستراتيجية في الشرق الأوسط على ضوء أن مصر مفتاح له ، فقال إن المصالح المادية للامبراطورية البريطانية قد تمت أعمواً كبيراً منذ موقعة النيل في أيام نلسون ، وهو عوالم يكن يحلم به قواده ، فتسلطها وتجارها على بلاد الشرق أمداها بقوة مالية تغلبت في آخر الأمر على محاولات نابليون بأجمعها .

وفي هذا القرن خاضت إنجلترا غمار الحرب مرتين ، وكان المعتدى هو ألمانيا في المرتين مع انضمام تركيا إليها في المرة الأولى وإيطاليا في المرة الثانية ، ومع ازدياد المصالح زيادة هائلة ، فقد أنشأت المهارة الفرنسية قناة السويس واحتلت بريطانيا مصر بعد بضع سنوات من شرائها لأسهم الخديوى في القناة ، وأعدت بريطانيا (!) فتح السودان ، واكتشفت آبار الزيت في العراق وجنوب إيران . ولو أن الشرق الأوسط خرج من يد الأمم المتحدة لما تمكنت من الانتصار على إيطاليا ثم ألمانيا ثم اليابان . لذلك كان من حسن الرأي ومن الجرأة السياسية المحمودة أن أرسلت بريطانيا جيشها الوحيد المدرع إلى مصر إلى خريف سنة ١٩٤٠ في وقت كانت فيه في خطر الغزو من البحر . وما يدل دلالة واضحة على أهمية الشرق الأوسط أن تيار الحرب إنما اتخذ وجهته الحاسمة بعد الانتصار البريطاني في العلمين . أجل ! إن هذه الموقعة لم تكن لتنجي الشرق الأوسط لو سقطت ستالينجراد ، إلا أن الانتصار في ستالينجراد لم يكن لينجي روسيا لو لم تحمل الجيوش البريطانية من المستحيل الزحف الجنوبي على حقول البترول الروسية ، بأن كسرت شوكة هجوم المحور على مصر والقنال . ثم تكلم عن معاهدة سنة ١٩٣٦ مع مصر وإخلاص الجانبيين في تنفيذها مما أدى إلى خروج مصر من الحرب سالمة وغنية وحررة . على أن مظاهر الحرب غيرت من وجه

البترول والتغلب على الجو ، كل هذه الأمور زادت للمثل القديم تحقيقاً ، وهو الذي يقول إن مصر هي المركز الاستراتيجي للعالم . وقد أشار إلى أن الامبراطورية البريطانية صارت مع الجمهورية الأمريكية والاتحاد السوفيتي أكبر الدول شأناً ، ولكنها في مركز أصعب من مركزي القوتين الأخيرتين ، فهما دولتان أرضيتان كبيرتان تحت حكومة مركزية واحدة تجرى مواصلتهما داخل حدودهما ، ولا يمكن أن تفصل هذه المواصلات عنهما إلا بغزو كبير . وهما من الوجهة السياسية والاقتصادية والحرية قادرتان على الاكتفاء بنفسيهما ، في حين أن بريطانيا مؤلفة من أمم متفرقة ذات سيادة ، ومواصلاتها تتوزع على العالم حيث يكون تامين هذه المواصلات البحرية والبرية متوقفاً على صداقة بعض الدول الأجنبية ومن أهمها مصر . وسلامة المواصلات الامبراطورية تتوقف على حسن علاقاتها مع جميع أمم الشرق الأوسط . فحسن النية في جميع تلك المنطقة شرط ضروري لسلامة استراليا وجزيرتها ، وكذلك نيوزيلندة وجنوب أفريقيا ، وحلقة كبيرة من المستعمرات البريطانية والأراضي المحمية ، ولبريطانيا نفسها . ولذلك يتوقف الكثير من الأمور على الحكمة السياسية نحو مصر بعد أن تسلطت عليها نزعة الحماسة الوطنية الآن بحيث صار أعقل زعمائها غير قادرين على توجيه هذه النزعة في سهولة .

وقال إن البحث في هذه السياسة على أساس القواعد الحربية أو للمادة وحدها معناه عدم فهم المشكلة القائمة . هذا ، مع أن مشاكل الامبراطورية نفسها لا يمكن تسويتها على هذا الأساس ، فكيف يبلد غريب عنها . فالوطنية لا تخضع للمادة . والواجب أن تقوم العلاقات على التعاون للتين العملي مع مصر وغيرها من بلاد الشرق الأوسط . وقال إن هذه الاعتبارات يجب ألا تغيب

الدول الكبرى التي تحتكر وسائل الحرب .  
وماله مغزاه أن أكبر قوتين حريتين  
مستقلتين بنفسهما لا تظهران أى ميل  
للاعتدال على الضمانات الدولية . فروسيا ترفض  
فكرة السيطرة الدولية على الدانوب ، وتطالب  
في إصرار بميناء في شرق البحر المتوسط ،  
وبقاعدة حربية في الدردنيل ، في حين  
لا يخطر على بال الولايات المتحدة أن تجعل  
قناة بناما تحت مسئولية دولية .

وهو يرى أن القوة الجوية والقنبلة الذرية  
لم تغيرا من أهمية الدفاع المحلى لقناة السويس ،  
ويؤكد أن أمريكا وروسيا يشاطران هذا  
الرأى فيما يتعلق بالدفاع عن الطرق المائية  
الهامة لديها .

وهو يلوم الحكومة البريطانية على تلكئها  
في الجلاء عن القاهرة والاسكندرية بصرف  
النظر عن أى اعتبار آخر ، وقال إن  
المعاهدات الدفاعية لاتمس حرية الأمم الصغيرة  
فإن الأمم الكبيرة نفسها تحاول عقد مثل هذه  
المعاهدات .

واختتم مقاله ذاكرأ أنه قبله مع الوطنيين  
المصريين ، وأن علاقات مصر مع جميع الأمم  
يجب أن تكون علاقة الأمة ذات السيادة في  
أرضها . ويبدى أسفه على أن السياسة  
البريطانية لم تظهر ذلك في وضوح . ومع  
ذلك يعزو إلى المتطرفين من المصريين عدم  
ضمهم لمرامى بريطانيا .

القاهرة والاسكندرية ، وامتلات مصر  
بالجنود والمنشآت العسكرية ، وصارت بلداً  
محتلاً ، مع أن حكومتها قد ساعدت في ظروف  
الحرب . ولقد أخذت الوطنية المصرية تنظر  
إلى هذه الحال بعين القلق . ولقد مضت ثلاث  
سنوات على معركة العلبين ، وصارت الحرب  
بعيدة ومع ذلك ظلت صعوباتها قائمة . وكان من  
الواجب الجلاء عن القاهرة والاسكندرية في  
أسرع فرصة بمجرد زوال الظروف المقتضية  
لبقاء الجنود فيها ، ولكن شيئاً من ذلك لم  
يكن ، فهاجت خواطر المصريين .

وقال إن حكومة المحافظين غير مسئولة عن  
ذلك ، لأنه نبه الحكومة الحالية إلى هذا  
الامر عند ما كان في منصبه بمصر ( فقد كان  
وزير دولة في مصر واسمه سير ادوارد جريج قبل  
منحه لقب لورد ) على أثر انتهاء الحرب  
اليابانية .

ومع ذلك فقد نقد الكاتب تصريح  
الحكومة البريطانية بالجلاء ، وقال إنه لايسر  
المفاوضات بل يزيدها صعوبة ، إذ يؤيد هذا  
التصريح الوهم القائل بأنه يمكن ضمان سلامة  
مصر بنير إقامة منشآت دائمة على القناة .  
وزعم أن مصر لا تحتمل عبء الدفاع عن  
نفسها ، فإن ذلك العبء يخل بتنظيماتها  
الاقتصادية والاجتماعية . وانتقد القول بأنه  
يمكن ضمان القناة وماجورها بالضمانات الدولية ؛  
فإن الضمانات الدولية تتطلب تبادل الثقة بين